لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

(الجزء ٩ من السنة ٦ عن ايلول سنة ١٩٢٨)

ذو الكفل ومدفنه

Dhu'l Kifl (Ezéchiel) et sa Tombe.

١ — ذو الكفل

من ذو الكفل ، او الكفل (على رواية العوام) ؟ — سؤال يسأله كل اديب يريد ان يرى الحقائق على ما هي ، لا على ما يصورها بعض ضعفاء الباحثين . قلنا :

ذو الكفل (ومن باب حذف المضاف وابقاء المضاف اليه) : الكفل على ما قاله الطبري في تاريخه : « ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة ، وانه اوصى عند موته الى ابنه « حوميل » وان الله عز وجل بعث بعده ابنه « بشر بن ايوب » نبيا ، وسماه ذا الكفل وامره بالدعاء الى توحيده ، وانه كان مقيما بالشام عمره حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة ، وان « بشرا » اوصى الى ابنه عبدان ... » اه المراد من نقله (١ : ٣٦٤ من طبعة الافرنج).

وقال المطهر بن طاهر المقدسي في كتابه : البدء والتاريخ ، المنسوب خطأ الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي ٣ : ٩٩) « كان ابن اسحق يقول : الياس هو الياس بن يسي من ولد هرون بن عمران يقال له : الياس ، واليسع ، واقر

ياسين ، ويقال : هو ذو الكفل بعينه . بعثه الله بعد حزقيل الى ملك يعلبك يقال له آحب وله امرأة يقال لها ازبيل ..». اه . ثم قال عن اليسع بن اخطوب (ص ١٠٠) يقال ان اليسع هو ذو الكفل . وقيل هو الخضر ، وقيل هو ابن العجوز والله اعلم . وفي كتاب ابي حذيفة : ان ذا الكفل هو اليسع بن اخطوب تلميذ الياس وليس هو اليسع الذي ذكره الله في القرآن . يرويه عن ابي سمعان . فان كان هذا حقا فهما اليسعان والله اعلم . واما ذو الكفل فمختلف فيه اختلافا كثيرا تجده في كتاب المعاني ان شاء الله تعالى . اه .

وقال في ص ٩٦ : قيل ان يوشع هو ذو الكفل ابن اخت موسى وتلميذه الذي سار معه في طلب الخضر وهو الذي افتتح بلقاء مدينة الجبارين بعد موسى ... اه .

وقال محمد بن احمد بن اياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور ص ١٠٩ قال : قال كعب الاحبار : لما قبض الله تعالى ايوب ، عليه السلام ، تغلب على اولاده الملك لام بن دعام ، فارسل هذا الملك الى اولاد ايوب ليزوجوه باختهم ، بنت ايوب ، فارسلوا اليه وقالوا : ليس في ديننا ان نزوجك وانت على الكفر ، فان احببت فادخل في ديننا ، فنزوجك اياها ؛ فلما سمع ذلك الملك هدرهم وعزم على قتالهم ، فبلغ ذلك اولاد ايوب فمنهم من اشار بقتاله ، ومنهم من اشار بمداراته بالمواعيد . فعند ذلك قال حوميل بن ايوب : لا بد من قتاله وحربه .

فلما جمع الملك جنوده وبرز للقتال ، برز اولاد ايوب بمن معهم من المؤمنين والتقى الجيشان ، واقتتلا قتالا شديدا ، فوقعت الهزيمة في جيش حوميل بن ايوب ، واستولى لام على جميع اموالهم واملاكهم واسر من قومهم ناسا كثيرا وفيهم بشير بن ايوب .

فهم الملك بصلبه ، ثم امهله وامر بحبسه يريد الفدية ، فاراد اخوه حوميل ان يرسل له الفدية ، فرأى في منامه قائلا يقول : « يا حوميل لاترسل الفدية ولا تخف على اخيك ، وان هذا الملك سيؤمن وتكون عاقبته الى خير . فقص الرؤيا على من كان عنده ورجع عن اعطائه الفدية .

فبلغ الملك لام هذا الكلام فغضب غضبا شديدا فأمر ان يتخذ خندق ويجعل

فيه النار ليحرق بشير بن ايوب. فعند ذلك احضر الجنود النار واوقدوها واحتملوا بشيرا والقوه فيها فلم تحرقه النار. فتعجب الملك لامن ذلك ، وقال : ان هذا لسحر عظيم . فقال له بشير : ايها الملك لسنا بساحرين وقد كان لنا جد يقال له ابراهيم الخليل ، ففعل به النمرود كذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه بردا وسلاما . وكذلك يفعل الله باولاده فعند ذلك رق قلب الملك وعلم الحق فأسلم وآمن واجتمعوا على الاسلام (كذا) ، فزوجوه باختهم . وسمى الملك بشيرا « ذا الكفل » ، لانه لما اراد الملك الفدية ، تكفل بشير بايصال الفدية اليه من اخوته .

ثم ان حوميل ارسل اخاه ذا الكفل رسولا الى جميع اهل الشام باذن الله تعالى . وكان الملك لام بين يديه يقاتل الكفار ، فلم يزالوا على ذلك حتى مات حوميل ثم مات بشير ذو الكفل ، ثم مات بعدهما الملك لام بن دعام فتغلب على اهل الشام العمالقة الى ان بعث الله شعيبا . انتهى على سبيل الاختصار .

وقال الثعلبي في قصص الانبياء ١٩٩ : « قال الله تعالى: «واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » قال مجاهد : لما كبر اليسع قال : لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل . فجمع الناس ثم قال : من يتكفل لي بثلاث ، استخلفته : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون ، فقال : انا . فرده ذلك اليوم .

وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس . فقام ذلك الرجل وقال: انا اعمل ذلك . فاستخلفه . قال : فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين : عليكم بفلان ، فاعيياهم . فقال : دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير حين اخذ مضجعه للقائلة . وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة .

فدق ابليس الباب ، فقال : من هذا ؟ فقال : شيخ كبير مظلوم ، ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول : ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا ... وفعلوا ... وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح ، وذهبت القائلة . فقال له : اذا رحت فاني آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه . فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه .

فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره ، فلما رجع الى القائلة واخذ مضجعه ، اتاه ، فدق الباب ، فقال : من هذا ؟ فقال : انا الشيخ المظلوم . ففتح له وقال : ألم اقل لك : اذا قمت فأتني ؟ فقال : انهم اخبث قوم ، اذا مرفوا انك قاعد يقولون : نحن نعطيك حقك ، واذا قمت جعدوني . قال : فانطلق . فاذا رجت فأتني ، وفاتته القائلة . فراح ، واقبل ، وجعل ينظره فلا يراه . فشق عليه النعاس ، فقال لبعض اهله : لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى اقوم فانه قد شق علي عدم النوم .

فلما كانت تلك الساعة جاءه فلم يأذن له احد . فلما اعياه نظر فاذا كوة في البيت ، فتسور منها فاذا هو في البيت ، واذا به يدق الباب من داخل . فاستيقظ الرجل وقال : يا فلان ألم آمرك ان لا تأذن لاحد علي . فقال : اما من قبلي فما اتيت ، فانظر من قبل من اتيت ؟ فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الشيخ معه في البيت ، فقال له : انا والخصوم ببابك ، فعرفه فقال له : يا عدو الله ما الجأك على هذه الفعال ؟ فقال له : اعييتني في كل شيء اردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله مني . فسمي ذا الكفل ، لانه تكفل بامر فوفى به .

اخبرنا ابن فنحويه ، قال : حدثنا عمر بن الفضل عن ابي هاشم : اخبرنا ابن الفضل قال : اخبرنا الاعمش عن عبدالله بن عبيدالله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله (صلعم) يحدث حديثا لو لم اسمعه إلا مرة او مرتين لم احدث به ، سمعت منه اكثر من سبع مرات يقول : كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله ، فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على ان تمكنه نفسها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : من هذا الفعل ، ما فعلته قط ، فقال لها : أأكرهتك ؟ قالت : لا ، ولكن حملتني عليه الحاجة ، فقال لها : اذهبي فهي لك . ثم انه قال : والله ، لا اعصي الله بعد هذا قط ابدا ، فمات من ليلته ، فقيل : مات ذو الكفل ، فوجدوا على باب داره مكتوبا : ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل .

وقال ابو موسى الاشعري : ان ذا الكفل لم يكن نبيا ، وانما كان عبدا

صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة . فاحسن الله عليه الثناء . وقيل : هو الياس . وقيل هو زكريا . والله اعلم بالصواب انتهى كلام الثعلبي .

وفي تاج العروس في مادة ك ف ل : ذو الكفل : نبي من انبياء بني اسرائيل . وقيل هو من ذرية ابراهيم ، صلوات الله عليهما . وقيل هو الياس ، وقيل هو زكريا ، اقوال ذكرها الفاسي في شرح الدلائل . قيل بعث الى ملك اسمه كنعان ، فدعاه الى الايمان وكفل له بالجنة وكتب له بالكفالة . وقال الثعالبي في المضاف والمنسوب : اختلف المفسرون في اسمه ، فقيل : هو بشير بن ايوب ، بعثه الله رسولا بعد ايوب وكان مقامه بالشام . وقبره في قرية كفل حارس من اعمال نابلس ذكره الملك المؤيد صاحب حماة . وقيل كان عبدا صالحا ذكر مع الانبياء لان علمه كعلمهم والاكثر على نبوته . وقيل : اسمه الياس . وقيل : يوشع . وقيل : زكريا . وقيل : حزقيل لانه تكفل سبعين نبيا . حكاه في معالم التنزيل عن الحسن ومقاتل . انتهى . وقيل سمي به لانه كفل بمائة ركعة كل يوم فوفى بما كفل . وقيل : لانه كان يلبس كساء كالكفل . وقال الزجاج لانه تكفل بامر نبي في امته فقام بما يجب فيهم . وقيل : تكفل بعمل رجل صالح فقام به . وقال الفاسي في شرح الدلائل : ومعناه ذو الحظ من الله تعالى . وقيل لتكفله للبسع بصيام النهار وقيام الليل وان لا يغضب . اه كلام صاحب التاج .

ولو اردنا ان نأتي على كل ماقيل عن ذي الكفل وسبب تسميته لملأنا مجلدات . وكل كاتب يذهب الى رأي ينتحله للغير أو يريده بحديث يرفعه الى اقدم المحدثين . وكل ذلك من الموضوعات البينة اذ لو كانت صحيحة لاتفقت كل الاتفاق ؛ لكن هذا شأن الاختلاق انه لا يأتي على وجه واحد .

ونتائج ما تقدم ذكره هي : عدم اتفاق علماء الاسلام على حقيقة ذي الكفل : اذ يذهب قوم الى انه نبي ويقول آخرون بانه رجل خاطىء تاب ، او عبد صالح خالط الانبياء .

لم يعرف اسم الرجل المذكور على حقيقته فمنهم من قال انه الياس ومنهم

اليسع وجماعة انه زكريا وآخرون حزقيال وفريق يوشع .

ومنهم من قال ان الاسم الحقيقي هو بشر أو بشير بن ايوب الى غير ذلك من الاسماء التي توضع كل يوم لتأييد رأي من الآراء يمر في المخيلة . اما الحقيقة على ما نرى فهي ان ذا الكفل هو النبي حزقيال ، باتفاق المسلمين والنصارى واليهود العراقيين منذ ألوف من السنين . وسبب تلقيبه بذلك هو انه كفل يهوذا واسرائيل باضطجاعه على الارض نومة مدة ١٩٠ يوما على الجانب الايسر و ٤٠ يوما على الجانب الايمن طالبا الى الله ان ينجي هاتين المملكتين من عقبى آثامهما . ففاز بأمنيته . (لم تتم)

مصطفى جواد

شاب مشغوف بلغة العرب معروف بميله الى الادب ولد في « محلة القشل بغداد» سنة (١٩٠٤م) المقابلة (١٣٢٢) بعد الهجرة . وكان والده (جواد) خياطا في بغداد ولما كف بصره بعرض فجائي نقل أسرته الى بلدة « دلتاوة » احد اعمال لواء ديالى . وكان عمر المترجم اذ ذاك سبع سنين فأرسله والده الى امرأة مدرسة في دلتاوة نفسها ليتعلم القرآن قراءة فقط . والمدرسة في ذلكم الزمان تدرس الاولاد بنات وصبيانا . وبعد ان حذق قراءة القرآن ضمه والده الى مدرسة دلتاوة الحكومية الابتدائية وبقي مواظبا على الدراسة حتى أول دقيقة دخل فيها جيش الانكليز دلتاوة . ولكن والده جوادا توفي سنة (١٣٣٣) ، فتولى أمره اخوه الوحيد الكبير جدا (كاظم) الذي برع في العلوم العربية وصار تلاميذه علماء الآن . وبعد ذلك رجع مصطفى الى مسقط رأسه بغداد ولما لم يحسن اخوه المعاملة له ، انفصل وانضم الى اقربائه الادنين ثم رجع الى دلتاوة لان له خلافا مما تركه والده من البساتين فاشتغل بها ثم دخل المدرسة الحكومية فلم يستفد فائدة لان اعلى صف فيها هو « الرابع » ولذلك عول على الاجتهاد الذاتي في العطلة فاجتهد ثم دخل « دار المعلمين » قبل تكون الحكومة الوطنية الملكية سنة (١٩٢١) م وبقي فيها ثلاث سنين خرج بعدها « معلما » وقد نال الدرجة الثالثة في صفه عند التخرج . عينته الحكومة مدرسا في (الناصرية) فالبصرة فدلتاوة ثم الكاظمية وهو فيها الان . نظم الشعر نظما طبيعيا من دون دراسة ولا ارشاد من غير ان له « ديوان شعر » غير مطبوع سماه « الشعور المنسجم »